السلجوقية، فانتظم دخل الدولة، وصارت الأموال تحمل إلى خزينة السلطان بانتظام من أماكن معينة[1]. واستطاع بذكائه كشف المساوئ المالية التي كانت تتم دون علم السلطان [2]ومنع الأمراء من التدخل في إدارة الدولة، وقرر للجيش ما يحتاج إليه من نفقات [3]، أثار إخلاص هذا الوزير حفيظة الأمراء وكبار الموظفين الذين حد من نفوذهم، فأخذوا يتآمرون للتخلص منه قبل أن يستفحل نفوذه فاتصلوا بالأتابك قراسنقر حاكم أذربيجان، وأقنعوه بأن الوزير أثار السلطان مسعود عليه، فأنفذ قراسنقرالى السلطان مسعود يطلب منه التخلص من وزيره، ويهدده بالخروج عن طاعته إذا لم يتم ذلك، فأشار الموظفون الحاقدون على الوزير على السلطان بقتله تلافياً للفتنة، فاستمع لمشورتهم[4].

* * *

الفصل الثالث
النظم الحربية عند السلاجقة

المبحث الأول
أسس الإدارة العسكرية السلجوقية

يعتبر الوزير السلجوقي الشهير نظام الملك الرأس المدبر لتطوير وتدعيم البنية الإدارية في مختلف المجالات، فقد ضمَّن كتابه سياست نامة الكثير من هذه النظم التي قام عليها بناء الإدارة العسكرية عند السلاجقة [5]، وقد أثر فكره الإداري على قادة عصره ومن جاء بعده حتى نهاية القرن الخامس الهجري، حتى عدّه ريجاردكوك أعظم إداري أنجبته آسيا كلها[6]، وقد تأثرت الدولة الزنكية والأيوبية ودولة المماليك - فيما بعد بالنظم الحربية عند السلاجقة، والأسس الإدارية، والمدارس النظامية التي سيأتي الحديث عنها لاحقاً، وهذا يعطى مفاهيم أعمق في النهوض الحضاري للأمة، بأن التأثير في الأجيال يحتاج إلى عقود من الزمن، حتى تجني الأمة ثمار يانعة للجهود التي يبذلها قادتها العسكريون والسياسيون والإداريون والمفكرون والعلماء، وقد أراد الساسة السلاجقة أن تسير الإدارة العسكرية السلجوقية، على أسس واضحة فقد تطلع نظام الملك إلى تثبيت تقسيمات الوظائف الإدارية مدنية كانت أو عسكرية وحذَّر من تعدد وتداخل الألقاب بين المدنيين والعسكريين؛ ولذلك تعد وفاته حدًا فاصلاً لسيطرة المدنيين على المناصب الإدارية في الدولة، وبداية لتأثير العسكريين في هذه المناصب إضافة إلى مناصبهم العسكرية، فأصبح نفوذهم كبيراً في جميع أنحاء الدولة

(1) دولة آل سلجوق ص 170 الوزارة ص 159.

(2) الكامل في التاريخ نقلاً عن نظام الوزارة ص 159.

(3) راحة الصدور ص 333، نظام الوزارة ص 159.

(4) السابق ذاته.

(5) النظم الحربية عند السلاجقة ص 45 للدكتور نائف بن حمود أبو قريحة وهذا الكتاب مرجعي الرئيسي في هذا الفصل فجل ما فيه مختصر منه، وأصل هذا الكتاب رسالة دكتوراه، اختصر لنا بها الباحث جهوداً ضخمة، فأشرت إلى ذلك للأمانة العلمية، وفضل الله واسع لي ولـه ولمن شارك في هذا الجهد.

(6) بغداد مدينة السلام (157/1).

السلجوقية مما مكّنهم من توجيه الأحداث والتدخل المباشر في الصراعات بين سلاطين السلاجقة وتحديد نتائجها[1].

ومن أهم الأسس التي قامت عليها الإدارة العسكرية السلجوقية هي:

أولاً: مقومات الفكر العسكري السلجوقي:

كان لدى السلاجقة فكرهم العسكري الخاص بهم والذي ميزهم عن غيرهم وساهم في بروزهم على مسرح الأحداث قوة عسكرية ضاربة سيطرت على مناطق واسعة بقضائها على كثير من القوى التي اصطدمت بها، فقد وصف الراوندي السلاجقة بأنهم كانوا أناساً يمتازون بالتقوى والدين واليقظة وعدم الإهمال [2]، كما وصفهم الحسيني بأنهم: أقوام نفوسهم ربطت بآداب الوغى [3]فكانت انتصاراتهم ونجاحاتهم التي حققوها في معاركهم نتيجة مقومات وأسس اتخذها السلاجقة، ركائز لفكرهم العسكري وهذا الأمر من سنن الله التي حث الرسول ρ المؤمنين على الأخذ بها فمن أخذ بالأسباب وأحسن التعامل معها بأكبر قدر ممكن وصدق في توكله على الله فإن الله ينصره ويوفقه والتي من أهمها:

1- التنشئة العسكرية للأبناء: كان اهتمام سلاطين السلاجقة بالفنون العسكرية كبيراً منُذ بداية أمرهم ولذلك اهتموا بتربية أبنائهم على فنون الحرب والقتال وإتقانها؛ ولهذا نجد جدَّهم الأول سلجوق يجتهد - قدر طاقته - في تربية وتنشئة حفيديه: طغرل بك، وجفري بك تنشئة عسكرية، آتت أكلها بعد ذلك في نجاح كل منهما من قيادة السلاجقة وإدارة معاركهم ضد أعدائهم، وقد ساهمت إلى حد ما هذه التنشئة بتولي أكثر زعماء السلاجقة للقيادة العامة للجيش بل ويقاتلون بأنفسهم في أرض المعركة نظراً للتدريب المبكر لهم على ذلك، فقد غزا ميكائيل بن سلجوق بلاد الأتراك وباشر القتال بنفسه حتى استشهد في سبيل الله [4]، ووصف البيهقي - وهو شاهد عيان - بلاء جفري بك في أرض المعركة بقوله: يا له من فارس مغوار [5]، وكان ألب أرسلان يجيد الرمي بالقوس الذي لم يكن يفارقه في أي مكان [6]، كما كان ملكشاه: أرمى الناس لم يخطئ قط، وأطعن الناس برمح[7]، وكان يجيد أيضاً استعمال الأسلحة جميعها مع مهارة كبيرة في ركوب الخيل [8]. فهذه الروح العسكرية المتوثبة عند أمراء السلاجقة انعكست على قوادهم وجندهم وكانت - بدون شك - وراء النجاحات التي حققها السلاجقة في حروبهم وعكست مهارات عسكرية مكنتهم من قيادة الجيوش في أرض المعارك، وخوض غمارها وتحقيق النصر على الأعداء في عدد من الجبهات [9].

(1) النظم الحربية عند السلاجقة ص 46.
(2) راحة الصدور ص 145.
(3) أخبار الدولة السلجوقية ص 8 . الوغى: الحرب.
(4) العرب والأتراك ص 74 غرايبة، النظم الحربية ص 48.
(5) تاريخ البيهقي ص 622.
(6) أخبار الدولة السلجوقية ص 54.
(7) المصدر نفسه ص 73.
(8) راحة الصدور ص 197 النظم الحربية ص 49.
(9) النظم الحربية عند السلاجقة ص 49.

2- الجهاد في سبيل الله: أعلن السلاجقة مُنذ بدايتهم دفاعهم عن الإسلام والذود عنه، فشكل الجهاد أساساً من الأسس المهمة في فكرهم العسكري، فقد قام جدهم الأول سلجوق - بعد اعتناقه وقبيلته الإسلام - بحماية المسلمين سكان المناطق المجاورة له من غارات بني جلدته من الكفار [1]، كما استهشد ابنه ميكائيل في جهاده ضدهم [2]، وتنطق رسالة السلاجقة للخليفة العباسي القائم بأمر الله بالتأكيد على ذلك: ولقد اجتهدنا دائماً في غزو الكفار وإعلان الجهاد [3]. ويذكرون فيها أيضاً : وشكراً لله على ما أفاء علينا من فتح ونصر، فنشرنا عدلنا وإنصافنا على العباد وابتعدنا عن طريق الظلم والجور والفساد، ونحن نرجو أن نكون في هذا الأمر قد نهجنا وفقاً لتعاليم الدين ولأمر أمير المؤمنين[4] وقد قام السلطان طغرل بك - كما مر معنا - بغزو الروم معلناً بذلك جهاده ضدهم [5]، والذي تميَّز بقوة كبيرة زرعت الهلع في قلوبهم حتى أسر بعض ملوكهم وأطلقه دون فداء [6]، كما عبر السلطان ألب أرسلان نهر جيحون [7]، مجاهداً سنة 465هـ، وكان قد أبلى بلاء حسناً - قبل ذلك - في جهاده ضد الروم في ملاذكرد [8]سنة 463هـ، وتؤكد خطبته قبيل نشوب المعركة بسعات روحاً جهادية متوثبة تتوق للاستشهاد في سبيل الله أو النصر، حيث يقول: أنا أحتسب عند الله نفسي، وإن سعدت بالشهادة ففي حواصل الطيور الخضر من حواصل النسور الغبُر رمسي، وإن نصرت فما أسعدني وأنا أمسي ويومي خير من أمسي [9]، بالإضافة إلى مشاركته السابقة مع عمه طغرل بك في عمليات الجهاد[10]، واستطاع سليمان بن قتلمش أن يضم مدينة أنطاكية إلى أملاك السلاجقة [11]، حيث سار على خُطَا أبيه الذي كان قد قام بعده بحملات جهادية على كرجستان[12]، وديار الروم فاستولى على كثير من قلاع الروم هناك [13].

وإذا كان السلاجقة قد اعتراهم الضعف بعد وفاة ملكشاه سنة خمس وثمانين وأربعمائة فإن قلج أرسلان، نجح في إحراز انتصارات باهرة على البيزنطيين، كما كان موفقاً في معاركه مع الصليبيين [14]، وتابع السلطان محمد بن ملكشاه مسيرة الجهاد ضد الصليبيين وكان مهتماً بتجهيز الجيوش

(1) النظم الحربية ص 49 نقلاً عن مالك الأبصار للعمري.
(2) الكامل في التاريخ نقلاً عن النظم الحربية ص 50.
(3) راحة الصدور ص 166، النظم الحربية ص 50.
(4) راحة الصدور ص 167 النظم الحربية ص50.
(5) المنتظم(160/08) فن الحرب الإسلامي للعسلي (342/3).
(6) فن الحرب الإسلامي (344/3) النظم الحربية ص 50.
(7) جيحون: نهر يصب في بحيرة خوارزم عليه مدن عديدة ويتشعب منه عدة أنهار.
(8) ملاذكر: مدينة حصينة على نهر الفرات وتكتب أيضاً: ملازكرد ومنازكرد، ومنزكرت وملاسكرد، معجم البلدان (202/5).
(9) تاريخ دولة آل سلجوق ص 40.
(10) فن الحرب (343/3) النظم الحربية ص 51.
(11) تاريخ الخلفاء ص 424، النظم الحربية ص 51.
(12) كرجستان الإقليم المسمى الآن جورجيا وعاصمته تفليس.
(13) النظم الحربية ص 51.
(14) المصدر نفسه ص 52.

مرات عديدة لهذا الغرض [1]، كما اعتبر جهاده ضد الإسماعيلية وصَّدهم جهاداً في سبيل الله [2]، ولم يغفل السلطان سنجر، جهاده في الشرق ضد كفار الأتراك، فقام بعدة حملات عسكرية عليهم [3] وعلى الرغم ما تعرضت لـه الفكرة الجهادية من بعض الفتور أثناء الصراعات بين أفراد الأسرة السلجوقية على السلطة أو مع غيرهم من الحكام، فقد ظل الجهاد في سبيل الله لدى السلاجقة يشكل ركيزة مهمة في فكرهم العسكري [4]، فقد كان مفهوم الجهاد واضحاً في حروب السلاجقة، وعرف ذلك عنهم معاصروهم وعلى رأسهم عدد من الفقهاء وقتذاك، يقول الإمام الجويني في وصفهم: أليس بهم (أي السلاجقة) انحصار الكفار في أقاصي الديار؟ وبهم يخفق بنود الدين على الخافقين، وبهم أقيمت دعوة الحق في الحرمين [5]، فإذا كانوا عصاماً لدين الإسلام ووزراً للشريعة، فما القول في أقوام بذلوا في الذب عن دين الله حشاشات الأرواح وركبوا نهايات الغرر متجردين لله تعالى في الكفاح [6].

3- الحرص على كسب ولاء الجيش وقادتـه: حرص سلاطين السلاجقة على كسب ولاء جندهم لمن يرشح من أبناء الأسرة السلجوقية لاعتلاء عرش السلطنة واهتموا بهذا الأمر اهتماماً كبيراً إيماناً منهم بأهمية ذلك ودوره في كفاءة السلطان الجديد وتأييد الناس لـه واستقرار الأحوال في عهده ونجاحه في إدارتها، فقد كان تعين طغرل بك سلطاناً على السلاجقة، وقائداً أعلى لجيوشهم - بالرغم من أنه لم يكن الابن الأكبر لميكائيل حيث كان أخوه جفري بك أكبر منه سناً - بناءً على قدرته وشخصيته الأمر الذي أدى إلى التفاف الجند والقبائل حولـه ودعمهم لـه [7]، فقد كان متسامحاً معهم، وعندما أراد تولية الحكم من بعده لسليمان ابن أخيه داود وزّع على الجند سبعمائة ألف دينار وثياباً وأسلحة تساوي مائتي ألف دينار استمالة لهم ولكنهم في النهاية مالوا إلى ألب أرسلان [8].

وكلَّف السلطان ألب أرسلان بعد إصابته وإحساسه بدنو أجله الوزير نظام الملك بالقيام بأخذ العهود على الجند بالتأييد والمبايعة لابنه ملكشاه [9]. وتعطينا هذه الحادثة تصوراً لهذه الأهمية بدليل تكليف الوزير للقيام بها بنفسه، ولم يكتف السلطان بذلك، بل أخذ العهود على نظام الملك، وأوصاه به كما أوصى الجند كذلك [10]، تأكيداً منه على ضمان ولائهم لابنه ملكشاه الذي ما إن تولى الحكم سنة 465هـ حتى أنفق أموالاً طائلة " استمال بها قلوب أمراء العسكر والحشم " [11].

(1) المصدر نفسه ص 52.
(2) السلاجقة في التاريخ والحضارة ص 53.
(3) النظم الحربية ص 52.
(4) السلاجقة في التاريخ والحضارة ص 53.
(5) غيات الأمم ص 230.
(6) المصدر نفسه ص231.
(7) دولـة السلاجقة، حسنين ص 31.
(8) المنتظم (231/8).
(9) المصدر نفسه (279/8) النظم الحربية ص 55.
(10) وفيات الأعيان (283/5) أخبار الدولة السلجوقية ص 55.
(11) المنتظم (277/8) أخبار الدولة السلجوقية ص 55.

4- الخبرة والتجربة: يذكر الماوردي (توفى 450هـ) أن انعدام الاستفادة من هذين الجانبين من الدلالات الظاهرة على ضعف الدول[1] وعبارة الماوردي هذه مهمة خطيرة جداً تحتاج لتأمل من قيادة الفكر والرأي والاستفادة منها ومن التاريخ بشكل عام ومن دروسه وعبره لمن يريد النهوض بالأمة في هذا العصر وقد مثلت الاستفادة من قِبل السلاجقة من الخبرة والتجربة فكر عصرهم بالفعل؛ ولهذا استعمل بعض سلاطين السلاجقة المشورة العسكرية في أرض المعركة للاستفادة الكاملة من الخبرات المتواجدة في الجيش السلجوقي، وخاصة ممن لهم خبرة ودراية واسعة في المجال الحربي فقد ذكر البيهقي - وهو شاهد عيان - مدى الخبرة والتدريب الموجودين لدى جند السلاجقة وقادتهم [2]، وأظهر السلطان طغرل بك اهتماماً بالنصائح التي قُدِّمت له من ذوي الخبرة والتجربة الواسعة حتى بلغ به الأمر إلى طلبها منهم بنفسه [3].

وقد كان للسلطان ألب أرسلان في بعض معاركه مجلس حرب وقد عقد اجتماعاً مع كبار قادته قبيل معركة ملاذكرد وناقش معهم خطة المعركة. ثم بدأ بعد ذلك بخطبته المشهورة ثم عاد مرة أخرى للاجتماع بقادته بعد انتهاء خطبته في الجند، حيث بحث معهم الوسائل لتحقيق النصر على أعدائه[4]، كما استأنس برأي فقيهه أبي نصر محمد بن عبد الملك البخاري الذي أشار عليه بالقتال يوم الجمعة بعد الزوال والخطباء على منابرهم طلباً للنصر باعتباره يدافع عن دين الله [5]، فكانت هذه المعركة خير مثال للاستفادة الكاملة من الخبرة والتجربة العسكرية [6]. وبلغ من اهتمام الوزير السلجوقي نظام الملك بالخبرة أن عقد فصلاً لها في كتابه يقول فيه: ينبغي تدبر الأمور باستشارة الحكماء المسنين وذوي التجارب والأسفار[7]، فاستشارة ذوي الخبرة والتجربة سبيل للوصول إلى الرأي الصائب[8]، كما يسوق احترام السلاجقة للخبرة ومعرفة قيمتها بقوله: كان من عادة الملوك اليقظين أن يرعوا حرمة المسنين المجربين جوّابي الآفاق... والعارفين بشؤون الحرب، بأن يجعلوا لكل منهم مقاماً ومنزلة أثيرة لديهم... وكان إذا جدَّ طارئ عدواني وحربي يتخذون التدابير كلها مع من مارسوا الحروب، ولهم فيها خبرات وتجارب كثيرة فيأتي الأمر موافقاً للهدف المرسوم، وكانوا إذا ما نشبت الحرب يرسلون إليها من خاض غمار المعارك الكثيرة، وهزم الجيوش العديدة واحتل القلاع، وذاع اسمه في العالم باسم الرجل الشجاع، وكانوا على الرغم من كل هذا يرسلون شخصاً مسناً ممن جابوا البلاد من ذوي الخبرات لتجنب الوقوع في الخطأ [9].

(1) التحفة الملوكية ص 80 النظم الحربية ص 57.
(2) تاريخ البيهقي ص 674، 683.
(3) النظم الحربية ص 58.
(4) النظم الحربية عند السلاجقة ص 58.
(5) تاريخ دولة آل سلجوق ص 42.
(6) تاريخ إيران، مكاريوس ص 124النظم الحربية ص 58.
(7) سياست نامه ص 128.
(8) المصدر نفسه ص 130.
(9) النظم الحربية عند السلاجقة ص 59.

5- الإخـلاص والتضـحية: عنـدما أراد الخليفـة العباسـي القـائم بـأمر الله البقـاء فـي معسـكر السلطان طغرل بك والخروج معه للقتال: قال السلطان: الله الله ما هذا مما يجوز أن يكون مثله، ونحن الذي يصلح للحرب والسفر والتهجم والخطر، دون أمير المؤمنين وإذا خرج بنفسه فأي حكم لنا وأي خدمة تقع منا وامتنع أن يجيبه إلى ذلك [1]، وفي ذلك دلالة على إخلاص السلطان في حماية الخليفة من خطر المعركة، كما تمتع بعض قواد السلاجقة كذلك بإخلاص نادر وصل إلى حد التضحية بأنفسهم في سبيل خدمة السلطان وحمايته فعندما هجم قاتل السلطان ألب أرسلان عليه: كان سعد الدولة كوهرائين [2]، شحنة بغداد واقفاً في خدمة السلطان فرمى بنفسه على السلطان يريد حمايته فأصابه هو أيضاً جرح، ولكنه لم يكن مميتاً[3].

6- الحيطة والحذر والمتابعة: عمد السلاجقة إلى وضع الحيطة والحذر نصب أعينهم، فقد ظل طغرل بك - بعد انسحابه من فراوة [4]، أمام الغزنويين - مستعداً للحرب أياماً فلم يخلع حذاءه، ولم ينزع عنه الزرد وكان يتوسد درعه حين ينام وإذا كان حال قائد هذه الجماعة على هذا النحو فمن اليسير معرفة حال الآخرين[5]، وعندما هزم السلاجقة جيش مسعود الغزنوي: لم يُنزل - أي داود قائد السلاجقة، عسكره ثلاثة أيام عن ظهور دوابهم لا يفارقونها إلا لما بد لهم منه من مأكول ومشروب وغير ذلك [6]، مما يدل على اتخاذه الحذر والاحتياط من عودة العدو إليهم، وبات جند السلاجقة على ظهور خيلهم أثناء حصارهم لمدينة مريم نشين في عهد السلطان ألب أرسلان [7]، وعندما أحضر رسول ملك الروم الجزية أخذه نظام الملك معه إلى كاشغر[8]، حيث أذن له هناك في العودة إلى بلاده وقال: أحب أن يذكر عنا في التواريخ أن ملك الروم حمل الجزية وأوصلها إلى باب كاشغر لينهي إلى صاحبه سعة ملك السلطان ليعظم خوفه منه ولا يحدث نفسه بخلاف الطاعة [9]، وهذا احتياط من جانب الوزير السلجوقي بإظهار عظمة سلطان السلاجقة وسعة بلادهم لرسول ملك الروم [10]، وكان السلاجقة يرون ضرورة: المتابعة لأحوال الحرس والخفر والبوابين ومعرفتهم جميعاً والاطلاع على أحوالهم سرًّا وعلانية؛ لأنهم أسرع انخداعاً بالمال والإغراء [11]، وإذا ما شوهد بينهم غريب فينبغي السؤال عنه والتأكد منه، ويجب أن يراقبوا ويتأكد منهم ويوضعوا تحت الإشراف المباشر كل ليلة عندما يتسلمون واجباتهم، وينبغي عدم إغفال هذا الأمر ليلاً أو نهاراً لأنه

(1) المنتظم (208/8) النظم الحربية عند السلاجقة ص 60.
(2) النظم الحربية عند السلاجقة ص 60.
(3) راحة الصدور ص 191.
(4) فراوة: مدينة في إقليم جرجان يعتقد أنها تطابق قزل أروات الحديثة.
(5) تاريخ البيهقي ص 668.
(6) الكامل في التاريخ نقلاً عن النظم الحربية ص 61.
(7) أخبار الدولة السلجوقية ص 36.
(8) كاشغر: مدينة في إقليم سيجون قرب بلاساغن، بلدان الخلافة ص 530.
(9) الكامل في التاريخ نقلاً عن النظم الحربية ص 62.
(10) النظم الحربية ص 62.
(11) سياست نامة ص 168.

دقيق جداً [1]. ويرى نظام الملك الوزير السلجوقي أن على السلاطين تحري أخبار الجيش فيقول: على الملوك أن يتحروا أحوال الرعية والجيش، وكل بعيد وقريب وأن يعرفوا كل كبيرة وصغيرة في المملكة [2].

7- العلاقة بين الجند وقادتهم والتدرج في الرتب العسكرية: اتخذ السلاجقة من التنظيم الدقيق للعلاقة بين الجند وقادتهم واحترام التدرج في الرتب العسكرية وربط ذلك بمبدأ الثواب والعقاب أساساً من أسس فكرهم العسكري ويفصِّل الوزير السلجوقي الشهير نظام الملك هذا التنظيم قائلاً: إن تكن للجند حاجة ما ينبغي أن تُطلب بألسنة قادتهم ورؤسائهم؛ لأنهم إن أُجيبوا إلى ذلك إجابة حسنة يكونوا قد توصلوا إلى احتياجاتهم، بأنفسهم ويكسبون احترام أفرادهم؛ لأنهم طلبوا ما يحتاجون بأنفسهم فنالوه دونما حاجة إلى وساطة تذهب باحترامهم لو لجأوا إليها. فإذا ما تطاول جندي على قائده ولم يحترمه أو يرع حرمته، بل تجاوز حده يجب أن يعاقب كيما يمتاز الرئيس عن المرؤوس [3]. وهذا النظام هو القائم إلى الآن في العالم.

8- الجمع بين الرأي والتدبير والقوة العسكرية: كان الفكر العسكري السلجوقي يعتمد على الرأي الصائب والحكم السديد بجانب استخدام القوة[4]؛ ولذلك يرى بعض المؤرخين أن السلطانين السلجوقيين الأول والثاني، طغرل بك وألب أرسلان تميزا أنهما فاتحان عسكريان أما خلفهما ملكشاه فمهمته كانت تنظيم إدارة الدولة، ولدى الحاجة إلى توسيعها كان يلجأ إلى العمليات العسكرية وإلى الوسائل الدبلوماسية أيضاً [5]، وهو أمر طبيعي في نشأة الدولة في أن يعتمد مؤسسوها على القوة والغلبة ثم يأتي خلفاؤهم، فيعتنوا بالإدارة وإعادة ترتيب الأولويات فيها، مما يؤكد على أن السلاجقة كانوا رجال حرب وإدارة وحسن تدبير بحق في تلك الفترة [6]. وكان الوزير نظام الملك يقول: إن المشورة في الأمور من قوة الرأي، خاصة إذا كانت الاستشارة لمن هم على قدر كبير من الخبرة وسعة التجربة وصولاً إلى الرأي الصائب الذي يتحتم العمل على أساسه [7]، كما يؤكد الوزير السلجوقي أن انعدام المشورى ومناقشة الآراء المختلفة والاستبداد بالرأي من الدلالات الواضحة على ضعفه وعدم جدوى العمل به [8]، وكانت نصيحة نظام الملك لسلطانه في مجال سياسة الأعداء أن يحارب الأعداء حرباً تترك باب الصلح مفتوحاً، وأن يصالحهم صلحاً لا يوصد باب الحرب، وأن يوطد علاقاته مع الصديق والعدو بنحو يمكنه من أن يفصم عراها، أو يعيد بناءها أنّى يشاء[9]. وهي

(1) النظم الحربية ص 62.
(2) سياست نامه ص 100 النظم الحربية ص 62.
(3) المصدر السابق ص 163 النظم الحربية ص 63.
(4) سياست نامة ص 200 النظم الحربية ص 64.
(5) الشرق الإسلامي في العصر الوسيط ص 356.
(6) النظم الحربية عند السلاجقة ص 64.
(7) سياست نامة ص 129، 130.
(8) المصدر نفسه ص 65.
(9) المصدر نفسه ص 298، 299 النظم الحربية ص 65.

قاعدة مهمة في الفكر العسكري تنم عن رأي خبير في سياسة الحروب وإدارة الدول لا يقل حصافة وسداداً عن أي فكر حديث حصيف[1]، والعبارة السابقة قريبة لدرجة كبيرة من القاعدة التي تقول: لا صداقات دائمة ولا عداوات دائمة وإنما مصالح دائمة: ونُحن نوجه كلمة المصالح إلى مصالح الإسلام وكان من بين النصائح التي قدمها الغزالي لسلطانه محمد بن ملكشاه قوله: إنه مهما أمكنك الأمور بالرفق واللطف فلا تعملها بالشدة والعنف [2]، ويقول أيضاً: وترتيب الوزراء مهما أمكنهم أن يحاربوا بالكتب فليحاربوا فإن لم تتأت الأمور بالاحتيال والتدبير فيجتهدوا في تأتيها بعطاء الأموال وبذل الصلات والنوال [3]، فإنه من رأيه عدم التسرع في الأمور لأنه: قد يمكن قتل الأحياء ولا يمكن إحياء القتلى [4]فهو ينصح بالتدرج في ذلك والبدء أولاً بإعمال الرأي والفكر في أفضل الوسائل للعمل بها، وجعل استخدام القوة والعنف آخر الحلول تطبيقاً وفي ذلك حفاظ على قدرات الدولة من أن تهدر في أمور يمكن العمل على حلها بالرأي والتدبير دون الحاجة إلى تسيير الجيوش وإرهاق الدولة بباهظ تكاليفها[5]؛ لأن الحرب في سائر الأحوال تفني ذخائر الأموال وفيها تبذل كرائم النفوس ومصونات الأرواح [6]. فكان من أسس الفكر عند السلاجقة سلاطين ووزراء وعلماء الجمع بين الرأي والتدبير والتدرج في استخدام القوة العسكرية واستعمال كل منها في الموقف الذي يلائمه، ودرء القوة ما أمكن غيرها[7].

ثانياً: الاعتماد على أجناس مختلفة:

اعتمد السلاجقة في جيشهم على أجناس مختلفة من الأتراك وجميع الطوائف المتمثلة في القبائل التركمانية والأكراد والديلم والعرب والفرس وغيرهم من الأجناس الأخرى، وكان التركمان هم العنصر المهم فيه يليهم الأكراد ثم المماليك المتمرسون على القتال وخوض المعارض [8]. ويؤكد الوزير السلجوقي نظام الملك ذلك في حديثه عن الرهائن ووجوب أخذهم من أمراء العرب والأكراد والديالمة والروم وغيرهم [9]، مما يؤكد حقيقة اعتماد السلاجقة على عدد كبير من الأجناس والشعوب، ويضيف بأنه: ينبغي أن يؤسس الجيش من كل جنس وملّة وأن يرابط بالقصر ألفا رجل من الديلم وخراسان يحتفظ بالموجود منهم الآن ثم يهيأ الباقي بعد ذلك. ولا ضير في أن يكون بعض هؤلاء من الكرجيين [10]، وشبانكاربي فارس [11]؛ لأنهم قوم طيبون لا غبار عليهم [1]، ويضرب

(1) النظم الحربية عند السلاجقة ص 65.
(2) التبر المسبوك في نصيحة الملوك ص 138.
(3) المصدر نفسه ص 278، 279.
(4) المصدر نفسه ص 278، 279.
(5) النظم الحربية ص 66.
(6) التبر المسبوك في نصيحة الملوك ص 278.
(7) النظم الحربية عند السلاجقة ص 66.
(8) السلاجقة في التاريخ والحضارة ص 69.
(9) سياست نامة ص 142.
(10) الكرجيين: نسبة إلى إقليم كرجستان في جورجيا حالياً.
(11) شبانكاريي فارس: نسبة إلى قرية من قرى إقليم فارس.

مثالاً على نجاح ذلك بجيش محمود الغزنوي المكوَّن من أجناس عدة، ففيه الترك والخراسانيون والعرب والهنود والغوريون والديلم [2]، ويدافع الوزير السلجوقي عن تأييده لتعدد الأجناس بأن: اتخاذ الجيش من جنس واحد مدعاة لظهور الأخطار والتخريب والفساد، وعدم الجدية والبلاء في الحرب[3]. وتمكن خطورة الاعتماد على جنس واحد في انعدام التنافس بين أفراد الجيش في مجال الخدمة العسكرية [4] أما في حالة التعدد في الأجناس فإن: كل جنس منهم يقاتل في المعارك والحروب، ببسالة ومضاء حفاظاً على سمعته وخوف العار والهزيمة، وكي لا يقول أحد بأن الجنود من الجنس الفلاني وهنوا في القتال وتقاعسوا، وكان كل فريق في القتال يبُلي بلاء حسناً ويبذل غاية جهده إظهاراً لقدرته، وتفوقه على الآخرين، ولما كانت قاعدة اختيار المحاربين تتم على ذلك النحو، فقد كانوا جميعهم جادين مستبسلين وطلاب سمعة وشهرة، ولا جرم أنهم إذا ما هرعوا إلى السلاح لم يكونوا يتراجعون قبل أن يهزموا الجيش المعادي وينتصروا عليه [5]. وهناك فائدة مهمة كان السلاجقة يضعونها بعين الاعتبار في اتخاذ الجيش من أجناس مختلفة وقبائل شتى وهي ألاَّ يتهيأ لهم الاتفاق على رأي واحد في الخلاف [6].

ثالثاً: زيادة عدد أفراد الفرق العسكرية:

كان حرص سلاطين السلاجقة واضحاً على زيادة عدد أفراد الفرق العسكرية وعدم الاستغناء عن أي فرقة منها - إلا في حالات نادرة جداً - حتى كان حجم الجيش السلجوقي الكبير عددياً مجالاً رحباً لافتخار السلاطين على أعدائهم وتهديدهم به، وقد واجه نظام الملك الدعوة المناوئة له والتي تقول بعدم الحاجة إلى الأعداد الكبيرة للفرق العسكرية السلجوقية احتجاجاً بالتوفير وعدم قوة الأعداء متهماً من يقف وراء هذه الدعوة بالسعي لتدمير الدولة فكان مما قاله: لقد ادَّعى هذا أن لا حاجة لأربعمائة ألف رجل لهم رواتب في الدولة، وأنه يجب أن يكتفى بسبعين ألف فارس يُدَّخرون لما قد يطرأ من أحداث ومهام، فبهذا تسترد الدولة جرايات الجند الآخرين غير السبعين ألفاً ورواتبهم، فتؤمَّن لخزانة الدولة في كل سنة بضعة ألف ألف دينار، بالذهب والمال في مدة يسيرة [7]. ثم يقول مخاطباً السلطان:.. إن يكن لديك أربعمائة ألف رجل، فليس من شك في أن تستحوذ على خراسان وما وراء النهر إلى حدود كاشغر لقد كنت أطمح أن يكون لك سبعمائة ألف رجل بدلاً من هذه الأربعمائة ألف، فلو كان رجالك أكثر لحزت غزنين والسند والهند وكل تركستان والصين.. ولكانت لك ثمة أشياء في المغرب والشام.. ولحطت لك الروم عصا الطاعة. إن عدد ولايات كل ملك رهن

(1) سياست نامة ص 140 النظم الحربية ص 69.
(2) سياست نامه ص 140.
(3) النظم الحربية ص 70.
(4) الحضارة الإسلامية ص 189أحمد عبد الرازق.
(5) سياست نامه ص 140، 141 النظم الحربية عند السلاجقة ص 70.
(6) كتاب الإشارة ص 125 للمرادي، النظم الحربية ص 70.
(7) سياست نامة ص 209 النظم الحربية ص 73.

بعدد جيشه، تكثر بكثرته وتقلُّ بقلته، وكلما قل عدد الجيش تناقص عدد الولايات، وبالعكس [1]. إن تعليمات هذا الوزير السلجوقي وفلسفته في إدارة الدولة وتركيزه على قوتها العسكرية يجعلنا نضعه باطمئنان في مصاف قادة الفكر السياسي في الحضارة الإسلامية ونظمها الحربية، بل إن نصائحه لسلطانه توحي لنا بأننا ننصت إلى أحد قواد، بل علماء الحرب الحديثة[2].

رابعاً: التقسيم العشري:

قسم السلاجقة قادتهم العسكريين بشكل هرمي ابتداء من كبار القادة أمراء المائة مروراً بأمراء الطبلخاناه ثم العشرات فالخمسات وهي أقل من هذه الدرجات، فهناك في المصادر ما يؤكد نسبة هذا التقسيم للسلاجقة، فقد قدَّم الوزير السلجوقي نظام الملك للخليفة العباسي أمراء الجيش في عهد ملكشاه واحداً بعد الآخر قائلاً للخليفة في تقديمه لهؤلاء الأمراء: هذا العبد الخادم فلان ابن فلان ولايته كذا وعسكره كذا وذلك الأمير يقبِّل الأرض وكانوا أكثر من أربعين أميراً [3]، وترتبط الإمرة في هذا التقسيم بشكل وثيق بعدد الجند تحت قيادة كل منهم فهناك:

1- أمراء المئين مقدموا الألوف: ويطلق على أحدهم أمير مائة تقترن عادة بلقب مقدم ألف، والمقصود بهذه التسمية المركبة مرتبة واحدة يكون في خدمة حاملها مائة مملوك، ويقع تحت قيادته في الحرب ألف أو ألوف من الجند وربما زاد العدد عن ذلك، وهي أعلى مراتب الأمراء، من عهد السلاجقة إلى المماليك بمصر ومنهم أصحاب المناصب العليا في الدولة [4].

2- أمراء الطبلخاناه: يرتبط اسم هذه الطبقة بأن لهم الحق في دق الطبول وغيرها في المواكب الرسمية تشريفاً لهم، كما يفعل السلطان وأمراء المئين ولكن بصورة مصغرة ويتزعم كل منهم أربعين فارساً يريد بعضهم على ذلك إلى سبعين وثمانين فارساً فيكون في خدمته ما يساوي هذا العدد ويطلق عليهم - نتيجة لذلك - أمراء سبعين أو ثمانين، ولا تكون هذه الرتبة لمن كانت إمرته على أقل من أربعين وأمراء هذه الطبقة تحت قيادة أمراء المئين فكان جندهم - تبعاً لذلك - أقل منهم، وكان عدد أمراء الطبلخاناه أكثر من أمراء المئين، ومن أمراء الطبلخاناه يكون أكابر الولاة [5].

3- أمراء العشرات: ربما كان منهم من له أكثر عدداً من ذلك إلى أقل من الأربعين: ومع ذلك يُعد في أمراء العشرات ومنهم صغار الولاة [6].

4- أمراء الخمسات: وكان عددهم قليلاً وأكثرهم من أولاد الأمراء المتوفين تعطى للواحد منهم هذه الرتبة رعاية لسلفه، فكانوا يعتبرون كأكابر الأجناد [7]. أما عن أصل هذا التقسيم العشري

(1) النظم الحربية ص 73.
(2) النظم الحربية عند السلاجقة ص 75.
(3) المنتظم (35/9) تاريخ دولة آل سلجوق ص 79.
(4) الخطط (215/2، 216) جيش مصر ص 27.
(5) النظم الحربية عند السلاجقة ص 77.
(6) النظم الحربية عند السلاجقة ص 77.
(7) جيش مصر ص 27، 28، تاريخ السلاجقةص 293.

فيبدو أن الرأي القائل بأن السلاجقة نقلوه من أوطانهم الأولى هو الأقرب [1]، فقد كان معروفاً فيما يبدو لدى إحدى قبائل التركمان حيث قام زعيمها باستدعاء أصحاب المئات والعشرات استعداداً للحرب[2]، فاستفاد السلاجقة بعد ذلك من هذا النظام فطبقوه في جيوشهم وأصبح أحد أسس تقسيماتها، ثم شاع هذا التقسيم في الجيوش بعدهم، فيذكر المقريزي أن جنكيز خان: رتب لعساكره أمراء وجعلهم أمراء ألوف وأمراء مئين وأمراء عشرات [3]وعمل به المماليك في مصر بعد ذلك [4].

خامساً: الإقطاع العسكري:

ينقسم الإقطاع إلى قسمين هما:

1- إقطاع تمليك. 2- إقطاع استغلال [5].

ومن هذا النوع ما أطلق عليه بعض الباحثين الإقطاع العسكري أو الحربي، وذكر الماوردي في حديثه عن إقطاع الاستغلال أن أهل الجيش هم أخص الناس بجواز الإقطاع[6]، ويُعد قدوم السلاجقة علامة مهمة في تاريخ امتلاك الأرض نظريًّا وعمليًّا، فلم يصبح السلطان مجرد حاكم للناس بل أصبح يتمتع بحقوق الملكية للأراضي التي يحكمها [7]، فقد جرت العادة أن يقوم السلطان بالصرف على شؤون الدولة من الإيرادات التي ترد من الولايات التابعة لها والخاضعة لسلطانها، وكان على رأس ذلك مصروفات الجيش والإنفاق على شؤونه المختلفة فضلاً عن مرتبات الجند، فلما كان عهد السلطان ملكشاه قام وزيره نظام الملك بتعميم نظام الإقطاع في جميع أنحاء الدولة السلجوقية وذلك بتوزيع ولايات الدولة على شكل إقطاعات للأمراء والجند للاستفادة منها عوضاً عن إعطائهم المرتبات النقدية [8]، فكان صاحب الإقطاع يستفيد منه ماديًّا مقابل تجهيزه لجنده الذين يشارك بهم في الجيش السلجوقي عند الاستنفار للحرب [9]، ولم يكن هذا التنظيم يتعارض مع الملكية الفردية أو يمسها لأنه كان يتعلق بخراج الأرض دون الأرض نفسها [10]. ويعتبر كثير من المؤرخين هذا الوزير السلجوقي أول من قام بتوزيع الإقطاعات [11]، وقد عارض بعض المؤرخين ذلك [12].

ويبدو أنه بالإمكان الاطمئنان إلى الرأي القائل أن الإقطاع العسكري قد وجد قبل السلاجقة وأصبح

(1) النظم الحربية عند السلاجقة ص 78.
(2) النظم الحربية عند السلاجقة ص 78.
(3) الخطط (221/2) النظم الحربية عند السلاجقة ص 78.
(4) النظم الحربية عند السلاجقة ص 78.
(5) الأحكام السلطانية ص 190 - 197.
(6) المصدر نفسه ص 195.
(7) النظم الحربية عند السلاجقة ص 79.
(8) تاريخ دولة آل سلجوق ص 60.
(9) النظم الحربية عند السلاجقة ص 79.
(10) السلاجقة في التاريخ والحضارة ص 201.
(11) أخبار الدولة السلجوقية ص 68.
(12) النظم الحربية عند السلاجقة ص 80.

عاماً شاملاً منُذ مطلع العصر السلجوقي، حيث أعطاه الوزير السلجوقي نظام الملك شكله النهائي وأقامه في مناطق لم يوجد بها من قبل [1]، مستفيداً من تجارب الدول التي سبقته خاصة الدولة البويهية بدليل إدخاله بعض الإصلاحات بهدف تجنب المساوئ التي أسفر عنها تطبيق هذا النظام في العهد البويهي [2]. فكانت المحصلة النهائية لذلك أن تميَّز الإقطاع العسكري عند السلاجقة بخصائص، وضوابط خاصة جعلت له كياناً مستقلاً عن غيره من الأنظمة التي سبقته وسنعرض لدراسة هذه الخصائص فيما يلي:

1- خصائص الإقطاع عند السلاجقة: اهتم الوزير السلجوقي نظام الملك بالإقطاع اهتماماً بالغاً يدل عليه إفراده الفصل الخامس في كتابه في المستقطعين والتحقق من معاملتهم للرعية، حيث وضع فيه القواعد المعتبرة في العلاقة بين صاحب الإقطاع ومن يعملون عنده والعقوبات اللازمة في حقه في حالة قسوته عليهم فيقول في ذلك: ليعلم المستقطعون أن لا شأن لهم على الرعايا سوى تحصيل الأموال المستحقة عليهم بالحسنى على أن يكونوا بعد ذلك آمنين على أنفسهم وأموالهم ونسائهم، وأبنائهم وضياعهم وما يملكون، دون أن يكون لأصحاب الإقطاعات عليهم من سبيل أو يمنعوهم من الذهاب إلى القصر؛ لبسط أحوالهم بأنفسهم إذا ما رغبوا في ذلك أما من لا يلتزم بهذا، أو يتقيد، فينبغي الضرب على يده، ونزع إقطاعاته منه، ومجازاته؛ ليكون عبرة للآخرين، على أصحاب الإقطاعات أن يعلموا أيضاً أن الملك والرعية جميعاً في حقيقية الأمر، للسلطان وعليهم وعلى الولاة، وهم رؤساء ومسؤولون، أن يعاملوا الناس معاملة الملك للرعية ليحظوا بتأييده، وقبوله، ويسلموا من عقابه، وينجوا من عذاب الآخرة [3].

ويرى نظام الملك أنه يجب إطلاق أيدي أصحاب الإقطاع في إقطاعاتهم: ولكن بنظام معلوم، والتأكيد عليهم. في حالة غياب أحد الجند بوفاته أو لسبب آخر - الإعلان عن ذلك وعدم كتمانه، وهو إجراء لا يختلف كثيراً عن الأنظمة الحديثة في هذا المجال. ويذكر كذلك وجوب بث العيون والجواسيس على أصحاب الإقطاع للتعرف على أحوالهم مخافة خروجهم عن طاعة السلطان [4]؛ ولذلك ينبغي استبدال المستقطعين كل سنتين أو ثلاث قبل أن يثبتوا أقدامهم ويحصِّنوا أنفسهم، أو يصبحوا مبعث قلق، وحتى يحسنوا معاملة الناس وتظل الولاية عامرة [5]وفي حالة وصول أخبار عن خراب في ناحية من النواحي يرسل أحد الثقات إليها - دون علم أحد بمهمته - فيقيم فيها الفترة اللازمة لاستطلاع أحوالها والاستماع لما يقال عن صاحب الإقطاع والعودة بحقيقة الحال للتصرف على أساسها[6]، وذلك نوع من إحكام الرقابة الإدارية على الولاة والقواد وهو إجراء مشهور عند العباسيين من قبل ولا زالت له نظائر في الأنظمة الحديثة [7]. ومن المعروف أن كبار القادة كانوا يمنحون إقطاعات بدلاً من الرواتب بصفة

(1) السلاجقة في التاريخ والحضارة ص 83.
(2) النظم الحربية ص 84.
(3) سياست نامة ص 67.
(4) المصدر نفسه ص 111.
(5) المصدر نفسه ص 76.
(6) المصدر نفسه ص 174.
(7) النظم الحربية عند السلاجقة ص 85.

عامة [1].

2- عوامل التوسع في الإقطاع العسكري: يرى بعض المؤرخين أن الوزير السلجوقي نظام الملك في تطبيقه لنظام الإقطاع أراد توطين القبائل المختلفة العناصر التي تكوّن منها الجيش السلجوقي حتى تستقر وترتبط بالأرض المقطعة [2]، ويمكن تلخيص عوامل التوسع في الإقطاع العسكري فيما يلي:

- صعوبة تحصيل الأموال من ولايات الدولة.
- كثرة الأعباء المالية على خزانة الدولة والرغبة في تخفيفها.
- اتساع الدولة وصعوبة السيطرة عليها.
- الرغبة في عمارة الأرض والمحافظة عليها.
- توطين قبائل الجيش السلجوقي واستقرارها[3].

وعندما قام الحكام والموظفون بنهب الأموال من الفلاحين اضطر هؤلاء إلى ترك أراضيهم، ذلك أن المسؤولين كانوا يجمعون الضرائب قبل حصاد المحصول وليس بعده كما هو معروف، بالإضافة إلى المعاملة السيئة التي يتعرض لها الفلاحون من قبل الإقطاعيين، وممثليهم وإخضاعهم للسخرة مما اضطر نظام الملك وزير السلطان ملكشاه أن يسعى إلى إيجاد تحديد دقيق لحقوق وواجبات أصحاب الإقطاع[4]، ويبدو أن الأمر في الاستفادة من نظام الإقطاع من عدمها يتعلق بمدى المتابعة الدقيقة له من قبل المسؤولين عنه؛ لأن استعراض القواعد التي حددها الوزير السلجوقي نظام الملك للإقطاع في مختلف الجوانب يدل على مدى كفاءتها في تحقيق الاستفادة من هذا النظام، وهو ما حدث بالفعل في بداية تطبيق السلاجقة نظام الإقطاع بفضل المتابعة له، ثم بدأت عوامل الفساد تدخل فيه، فبرزت سلبياته بشكل واضح حتى أصبح عبئاً على الدولة وسبباً في تفكك أجزائها[5].

3- موقف العلماء من الإقطاع: أثار الخوف المتزايد على الأرض اهتمام العديد من العلماء، فعبرّ الغزالي عن عدم رضاه عن الفوضى في الريف؛ لأنه لا يمكن أن يكون تقدم دون أن يكون هناك عدل، وأن الدولة لن تزدهر في ظل الظلم والطغيان، وسيضطر الفلاحون لترك أراضيهم معطياً أمثلة عدة للازدهار الذي وجد في العصر الساساني في ظل الحكام العادلين، وأن الحكام مسؤولون عن سوء تصرفات موظفيهم ضد رعاياهم [6]، ويقول: عمارة البلاد بالعدل في العباد [7]،

(1) راحة الصدور ص 501، النظم الحربية ص 85.
(2) تاريخ العراق في العصر السلجوقي، حسين أمين ص 210.
(3) النظم الحربية عند السلاجقة ص 89.
(4) النظم الحربية عند السلاجقة ص 90.
(5) النظم الحربية ضد السلاجقة ص 91.
(6) التبر المسبوك في نصيحة الملوك ص 108 - 140، 171 - 281.
(7) المصدر نفسه ص 186.

ويعقد الغزالي فصلاً كاملاً عن كيفية التعامل مع الحكام الظالمين [1]، ويحذر من الدخول عليهم وأخذ الأموال منهم والتي يعتبرها حراماً لأنها مجموعة من الخراج المضروب على المسلمين [2]، بالرغم من علاقته بالسلطان السلجوقي محمد بن ملكشاه حيث ألف كتابه: (التبر المسبوك) وفيه يخاطب السلطان مذكراً إياه بنعم الله مضمناً إياه نصائح من أهمها الالتزام بالعدل [3] ولم يكن الغزالي الوحيد الذي وقف في وجه الظلم ضد الفلاحين بل وافقه مجموعة من العلماء كنجم الدين الرازي والإمام السبكي ممن جاءوا بعده، وبإزاء ذلك كله يذكر الماوردي موقفه من إقطاع الجند بقوله عنهم: أن أهل الجيش هم أخص الناس بجواز الإقطاع؛ لأن لهم أرزاقاً مقدرة تصرف إليهم مصرف الاستحقاق؛ لأنها تعويض عما أرصدوا نفوسهم له من حماية البيضة والذب عن الحريم [4]. والفرق بينه وبين آراء العلماء الآخرين أن موقفه يبدو مؤيداً للإقطاع العسكري بينما يعارض بعض العلماء السلبيات التي أفرزها تطبيق هذا النظام [5].

سادساً الرهائن:

قامت فكرة أخذ الرهائن عند السلاجقة من الأمراء بمختلف أجناسهم ومن أصحاب الإقطاع - وخاصة من الداخلين في طاعة الدولة حديثاً - ضماناً للولاء والطاعة [6]، للسلطان السلجوقي، فإذا ما حدَّث هؤلاء أنفسهم بالعصيان كان التلويح لهم بقتل رهائنهم الذين كانوا من ذوي القربى لهم بالإضافة إلى الاستفادة من وجود هؤلاء الرهائن في القيام بمهمات البلاط السلطاني، وقد دخل هذا النظام عند السلاجقة حيّز التنفيذ منُذ بداية دولتهم، كواحد من النظم التي جلبها السلاجقة معهم من أوطانهم الأولى، حيث كان هذا النظام سائداً لدى بعض القبائل التركية قبل دخولهم الإسلام ومن خلال الدراسة لهذا الموضع في التراث السلجوقي نستنتج بعض الضوابط التي قام عليها نظام الرهائن عندهم والتي منها.

1- أخذ الرهائن على الأمراء من الأجناس المختلفة ممن دخلوا في طاعة السلاجقة.

2- أن تكون الرهينة من ذوي القربى لهؤلاء الأمراء ابناً أو أخاً ومن في حكمهم.

3- أن لا يقل عدد الرهائن عن خمسمائة.

4- أن تتم عملية استبدالهم سنوياً بآخرين غيرهم.

5- أن يتم الاحتفاظ بالرهائن حتى وصول البدلاء إلى القصر.

6- تقديم أصحاب الإقطاع خمسمائة رجل منهم ليقيموا في البلاط السلطاني.

---

(1) إحياء علوم الدين (142/2 - 152).

(2) إحياء علوم الدين (142/2 - 152).

(3) التبر المسبوك ص 92، 93، 107، 129.

(4) الأحكام السلطانية ص 195.

(5) النظم الحربية عند السلاجقة ص 93.

(6) المصدر نفسه ص 93.

7- اختيار ألف من أبناء التركمان غلماناً في القصر يقومون مقام الرهائن ضماناً للولاء[1].

سابعاً: الإعداد المعنوي للجيش:

اعتبر السلاجقة حروبهم جهاداً في سبيل الله كما سبقت الإشارة إليه في الفكر العسكري مما شكل عاملاً بارزاً في رفع الروح المعنوية لديهم، وتُعد معركة ملاذكرد خير مثال لارتفاع الروح المعنوية لدى جند السلاجقة فقد برزت غيرتهم على الإسلام فاستماتوا في القتال بحماس شديد حتى النصر [2]. ولم يكن أثر الجانب المعنوي خافياً على الوزير السلجوقي نظام الملك فكان يعطيه حقه من الاهتمام في مواضع متعددة، فعندما خاف السلطان ألب أرسلان من قتلمش السلجوقي بعد خروجه عن طاعته ثبته الوزير نظام الملك ورفع من روحه المعنوية قائلاً: قد جعلت لك من خراسان جنداً ينصرونك ولا يخذلونك ويرمون ذلك بسهام لا تخطئ وهم العلماء والزهاد، فقد جعلتهم بالإحسان إليهم من أعظم أعوانك [3]وجاء في رواية ابن كثير:.. لا تخف فإني قد استدمت لك جنداً ما بارزوا عسكراً إلا كسروه كائناً ما كان.. جند يدعون لك وينصرونك بالتوجه في صلواتهم وخلواتهم وهم العلماء والفقراء والصلحاء [4]. فكان نظام الملك يرى أن الانتصار المتكرر يعمل على بث روح النصر في نفوس الجند دائماً [5]، وينصح الغزالي سلطانه محمد بن ملكشاه بالعمل على إطلاق الأسرى من الجند من أيدي الأعداء عن طريق شرائهم بالأموال وذلك: ليسمع الجند بصنيعه فتقوى قلوبهم إذا باشروا حروبهم[6]، ولا شك أن للمدارس النظامية دوراً عظيماً في الإعداد المعنوي للجيش السلجوقي والأمة عموماً ويأتي بيان ذلك في محله بإذن الله تعالى.

* * *

(1) النظم الحربية عند السلاجقة ص 96.
(2) السلاجقة في التاريخ والحضارة ص 35.
(3) الكامل في التاريخ نقلاً عن النظم الحربية ص 98.
(4) البداية والنهاية نقلاً عن النظم الحربية ص 98.
(5) النظم الحربية ص 98.
(6) التبر المسبوك ص 279.